

نخب سلا في حقبة ما قبل الاستقلال * "توجهاتها وأدوارها الثقافية والوطنية"

محمد صديق معنينو

m.maanonou@menara.ma

توطئة سلا هي مدينة قديمة لم يتفق المؤرخون حول أصول بنائها، بيد أن كثيرا من الأبحاث تؤكد أن القرطاجيين والفينيقيين و الرومان مروا منها، ربما حفزهم على المرور أن المدينة تطل على المحيط الأطلسي، ويعبر منها وادي أبي رقراق، مما جعلها مركزا مرموقا للتجارة والتبادل التجاري وميناء يستقطب عددا كبيرا من السفن وبالتالي حرش عليها أطماع القوات التي كانت سائدة في ذلك العصر.

وعبر حديثنا اليوم سأعمل على إبراز أهمية مدينة سلا ودورها المحوي خلال الحقبة المتراوحة ما قبل استقلال المملكة وما بعده، وهو دور ليس غريبا عنها وكان معطاهها الطبيعي عبر العصور كما تشي بملامحه ديباجة المقال، وستتوصل لمقاربة حزمة من تلك الأهداف من خلال تسليط بعض الومضات على سلا التاريخية بأبعادها العمرانية (القباب/ الأبواب/ الأبراج/ الأسوار... الخ) والدينية (المساجد / الكتاتيب/ الزوايا/ الأضرحة) والمجتمعية (نمط الاستقرار والسلم المجتمعيين القائمين في المدينة وشروطهما وطقوسهما....) وكذا على



مستوى أهم الحرف والمهن والصناعات التقليدية المزاول (كصناعة النعول والحصاير/ التجارة / الفلاحة/ الأشغال الخدمائية.. الخ) وكذا من خلال التفطن إلى إمكانية قيام علاقة ما بين الميزات السالفة الذكر وبين مسألة إفراز (النخب) بسلا، سواءً ولجنا إلى هذا المفهوم بالمعنى القديم أو اعتمدنا المفهوم الحديث للنخبة، خاصة لدى تبلور النخبة السلاوية في الفترة الأكثر استهدافا بالدراسة أي تحديدا في فترة ما قبل الحماية وإبانها وبعدها بقليل. وعليه سيتم تقسيم الموضوع إلى محاور تتلوه خاتمة والمحاور أربعة وهي: أهم الميزات المعمارية لمدينة سلا التاريخية؛ أهم الطبقات الاجتماعية المكونة للمجتمع السلاوي قبل الحماية؛ بعض الأمثلة لأعلام بارزة من النخب السلاوية قبل الحماية؛ النخب وأدوارها في المجتمع السلاوي قبل وإبان الحماية.

أولاً- أهم الميزات المعمارية لمدينة سلا التاريخية

1/ الأسوار: الأسوار المحيطة بمدينة سلا يبلغ طولها حوالي 4 كلم ونصف، وهي متميزة عن أسوار المدن الأخرى بكونها لم تُبنَ دفعة واحدة بل أنشئت عبر مراحل بدءا من عهد المرابطين مروراً بالموحدين والمرينيين والسعديين وصولاً للعلويين، وتمتاز هذه الأسوار كذلك بأن بنائها راعى حس التخطيط الدفاعي للمدينة إزاء الغارات المحتملة، سواء من جهة البر أو البحر.

2/ الأبواب: كباقي المدن، لسلا القديمة مجموعة من الأبواب والبوابات، وكانت هذه الأبواب إلى بداية القرن الماضي تقفل ليلا عند أذان المغرب ضمنا لسلامة المدينة وسلامة سكانها. وفي المجمل يعتقَد أن عددها يتراوح بين سبعة أبواب

* محاضرة الأستاذ محمد صديق معنينو في الدورة السنوية السادسة من مؤتمر العلوم الإنسانية والاجتماعية للباحثين والذي انعقد خلال الأيام 7-9 مارس 2017 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط.

أو ثمانية، ومن بينها أبواب تحمل أسماء غريبة قَصُر المؤرخون عن معرفة الأسباب الداعية لها: كباب "المُعْلَقَة" التي أرجعت تسميتها إلى ارتفاعها لكونها بابا معلقةً، أي مرتفعة عن الشاطئ مما يتحتم معه لأجل دخولها ارتقاء عدد من الأدراج التي تفضي إلى المدينة: لذا وبسبب تموضعها المرتفع يخيل للرائي كأنها باب معلقة.. آخرون نسبوا التسمية إلى الاشتقاق الذي درج على الألسن من لوك اسم "مالقا" وهو كما لا يخفى على أحد اسم علم لمدينة أندلسية مشهورة قبل أن تسقط الأندلس ، فهي عندهم "بابُ مَالَقَا"؛ أي انتسابا إلى الأندلسيين الذين نزحوا إلى سلا ودخلوا من تلك الباب واحتفاء بهم وبذكرى الأرض التي أُخْرِجُوا منها، ولعله مما يرجح الطرح الأخير أن الأحياء المحيطة بباب "مالقا"، تطلق عليها إلى يومنا هذا أسماء من قبيل "قصطالة" أي نسبة إلى "قشتالة"، باعتبار أن القشتاليين هم من أووا إلى تلك المنطقة.

3/ الأبراج: ينظم أسوار سلا بطبيعة الحال أبراجٌ متعددة وضعت لإيواء العَسَس والحرس للذود عن بيضة المدينة. ولعل من أبرزها "برج الدموع" وهو الاسم الذي مازال جاريا إلى اليوم ، أما الحفر في سبب إطلاقه فيستلزم منا العودة إلى زمن المرينيين حين تمكّن الإسبان من دخول سلا وتحطيم هذا البرج، وفهرع السلطان أبو الحسن خال علمه بذلك قادما من مدينة "نازا" وأمر بإعادة بنائه، بل وذهب بعضهم بأنه شارك بنفسه في عملية البناء بحمل الأحجار ووضعها حيث كانت في أساساتها الأولى، ولقد شاع بين الرواة أيضا، سواء على محمل المبالغة أو على محمل الصدق، أن الملك وهو يفعل ما يفعل كان يبكي ولا يتوقف عن ذرف الدموع، فلأجل هذه الواقعة، بغض النظر عن درجة صحتها، لُقّب البرجُ ببرج الدموع.

4/ المساجد: في بداية القرن الماضي كان عدد سكان مدينة سلا خمسة وعشرين ألف نسمة وهو عدد قليل إذا ما قارناه بعددهم إبان الاستقلال^أ وفي الحاضر المشهود^ب لكن وقتها كان عددها ضخما، خاصة إذا ما علمنا أنها كانت حينئذ الثالثة من حيث النمو الديمغرافي فيما كانت مدينة فاس الأولى بعدد سكان يناهز ستين ألف نسمة. بيد أن أهم من مَبَرَّ سكان سلا هو عدد مساجدها فلقد بلغت في بداية القرن الماضي واحدا وستين مسجدا، علما أن سلا مدينة صغيرة المساحة. وهذا يعني بأن المساجد غطّت كل أرجاء المدينة، وشيّدت في الحومات والأسواق والدروب والشوارع^ج، ولعبت دورا لا غنى عنه سواء في إشاعة لحمة الانتماء بين الناس إلى جماعة بشرية معينة وعمران ومكان وتاريخ معين و ثقافة وحضارة معينة، أو توطيد روح التآلف والجوار والتراحم والتساكن والتكافل والتعااض فيما بينهم أو زرع صيغة من الولاء الطوعي المختار تجاه حكامهم وقياداتهم وحكمائهم وأهل الرأي فيهم وتجاه "نخيم" لعب المسجد الأعظم أو المسجد الكبير دورا أقوى تركيزا على تلکم المعاني وأكثر نجاعة في الترويج لتلكم القيم، كيف لا وقد كان مجمع جميع سكان المدينة أو معظمهم، وعلى وجه أخص خلال شهر رمضان وليلة القدر والأعياد الدينية . وبالإشارة إلى المسجد الأعظم وكبر مساحته ،يتوجب التأكيد على أنه لم يزل أكبر مساجد سلا إلى غاية اليوم، وذلك منذ أن بني في عهد الموحدين، أي منذ ألف وعشرين سنة على بنائه.

5/ "المسيدات" أو الكتاتيب القرآنية: كان يوجد في سلا ستة وعشرين "امسيدا"، فيه يدرس التلاميذ القرآن ويتعلمون حفظه وتلاوته. وإذا كانت أسماء المساجد تسند إلى أحيائها، فإن أسماء الكتاتيب تستمد من أسماء الفقهاء الذين يدرسون فيها: فكان يقال هذا مسيد "لفقيه زلو" وهذا "مسيد" "لفقيه بوحموش"، وهذا "مسيد" "لفقيه ولعلو" وهكذا دواليك..

6/ السقايات وشبكة المياه: كانت سلا تتوفر على واحد وعشرين سقاية، رغم أن المياه لم تكن تجري من المنابع التي نعرفها اليوم، بل كانت تستقدم من عيون "بركة" الكائنة على مسافة حوالي 10 كلم من المدينة. وكان يتم استقدامها من خلال شبكة مائية عجيبة، بناها أندلسيون ومهندسون وأهل الخبرة والعلم. ولقد تطورت تقنية بناء الشبكات حتى

نجحوا في عهد المرينيين إلى إيصال الماء إلى ميضعات المسجد الأعظم، حتى يتمكن الناس من الطهارة والوضوء قبل الصلاة، كما أنهم استطاعوا أن يمرروا الماء عبر المسجد نفسه إلى المدرسة المرينية المحادية له . وهي المدرسة الموجودة في منطقة "الطالعة"^{iv} وكانت تعتبر مأوى جامعيًا أو "داخلية" للطلبة الذين كانوا يفدون عليها طلبًا للعلم من مختلف أنحاء المغرب.

7/ الحمامات: كان في سلا أربعة حمامات، بعضها يعود إلى قرون من قبل، ولقد توزعت في المدينة حسب التركيبة الاجتماعية لكل منطقة أو ناحية ، فمثلا كانت منطقة "الطالعة" التي هي كما ذكرنا منطقة "البروجوازين" تتوفر على حمام يسمى "حمام الطالعة"، في المقابل كان "حمام باب سبته"، يعد حماما بدويا بسبب عينة ونوعية مرتاديه. وفي هذا الصدد، وجبت الإشارة إلى أن مدينة سلا، من منظور طبيعة سكانها، كانت تختلف عن مراكش وعن فاس: عن الأولى باعتبار مراكش مدينة بدوية معظم سكانها من البدو، وعن الثانية باعتبار مدينة فاس مدينة حضرية مدنية، أي إن مشارب سكانها ومساقطهم من المدن، أما سلا فيجوز القول بأنها كانت مزيجًا من هؤلاء وهؤلاء^v. ولها تركيبة اجتماعية خاصة.

ثانياً - أهم الطبقات الاجتماعية المكونة للمجتمع السلاوي قبل الحماية

1/ طبقة الأعيان والأغنياء: إننا هنا عندما نثير لفظ البرجوازية^{vi} لا نروم بها مفهوم البرجوازية في بعدها التاريخي والفلسفي ، بل نعتمدها ، تجاوزًا، للإشارة فقط إلى أغنياء أو أعيان سلا. وباختصار كانت تتكون هذه الطبقة في البداية من عائلات أصلها أمازيغي وهم من سكنوا المدينة أول مرة. دليل هذه الدعوى أن أحياء "زاناتا" من أقدم الأحياء في المدينة، وما أخذت الاسم إلا نسبة إلى القبائل الأمازيغية "الزاناتية" ، ثم عرفت سلا وفادة عدد جديد من الناس قدموا من مختلف المدن المغربية، و من المغرب الأوسط: أي من الجزائر ومن تونس ومن ليبيا ومن الشرق العربي. وقد شكل كافة هؤلاء النازحين إليها مزيجًا ديموغرافيًا وثقافيًا وحضاريًا متفردًا، وربما انفردت به أكثر هذه المدينة الصغيرة دون غيرها من المدن الأخرى.

2/ الطبقة المتوسطة: إذا كانت طبقة البرجوازية السلاوية تتكون من الأعيان والأغنياء، كما سلف الذكر، سواء كانوا فلاحين أو تجارًا أو صناعًا تقليديين أو طائفة راقية من بعض موظفي المخزن: كالكتاب والأمناء والقضاة.. الخ، فإن ثمة طبقة وسطى كانت مكونة أساسًا من صناع تقليديين من غير ذوي أصحاب رأس المال، وأصحاب الدكاكين الصغيرة وبعض التجار والفلاحين الصغار.. الخ..

3/ طبقة العامة: وهي الطبقة الشعبية وتتكون من عمال وخدام يؤدون خدمات مرفقية للمدينة. أهم مثال توضيحي يساق هنا، يتعلق بالعمال الذين كان يطلق عليهم "بالكرابة"، وكان أغلب هؤلاء الكراية يأتون من تافلايت ومن وادي درعة. أما عملهم فكان يعتمد على جلود للماعز يخيطنونها في شكل أكياس ويملأونها بالماء، وكانوا يمشون في الأسواق ويتجولون في الدروب والأحياء ويحترفون سقاية الناس العطشى عند طلبهم، في مقابل أن يتم مكافأتهم ممن سقوا منهم عن تطوع لا عن إجباراً ولا عن بيعاً ولا شراءً، وغالبًا ما تكون المكافأة في شكل عطايا زهيدة أو أشياء رمزية. وقد يقع للمحظوظ منهم أن يمر به أحد الأغنياء فيدعوه إلى التصديق بجميع ماء "الكربة"^{vii} على كل طالبه بلا استثناء ومجانًا، على أن يكفيه بتحمل مؤونة دفع ثمن كل ما سقى. والخلاصة أن طبقة العامة بسلا كانت طبقة شعبية خدمتية بامتياز.

ثالثاً- بعض الأمثلة لأعلام بارزة من النخب الاجتماعية لمدينة سلا قبل الحماية

عند حديثنا عن النخب السلاوية، يجب تحديد الإطار الزمني للحديث: نحن الآن في بداية القرن التاسع وبالصيغ قبل سنة 1912 سنة احتلال المغرب، فكيف كانت النخبة السلاوية في هذه الفترة؟ و هل أنجبت سلا وقتها نخبا علمية ونخبا مفكرة ونخب مبادرة؟ لكن قبل كل هذا، هل عرف المغرب فعلا نخبا حقيقية معتدا بها قبل الحماية ، وذلك على خلاف ما يروج له زعما بعض المؤرخين الفرنسيين؟^{vii}.

1/ أحمد الناصري: إن الجواب عن السؤال الأخير قد يبرز في المثال التالي: ففي نهاية القرن التاسع عشر قام رجل علم وبحث اسمه "أحمد الناصري" بإصدار كتاب اسمه "الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى"، وهو كتاب تم طبعه في مصر في عشرة أجزاء، ويمكن توصيفه بأنه من أقوى وأشمل ما كتب في تأريخ وتاريخ المغرب، بل إنه لم يقتصر على الكتابة التاريخية فقط لكنه حفل بمواقف المؤلف الإصلاحية التي يدعو فيها إلى ضرورة الشروع في إقامة ما يراه مفيدا من هياكل ومؤسسات الدولة الحديثة، ويدعو فيها أيضا إلى إعادة تنظيم الجيش والجمارك والضرائب، وكذا إلى منح الأسبقية في التعيينات للكفاءات.

في نفس الكتاب تطرق الناصري إلى الزوايا مبرزاً موقفه الناقد النابذ لها معتبرا أنها أعشاش لتفريخ البدع والشعوذة. وحري بنا القول بأن هذا الرجل العلامة العلامة /بتشديد اللام في الأولى وتخفيفها في الثانية/، كان أحد أعمدة وعمداء النخبة السلاوية الطليعية خلال الفترة المتاخمة لنهاية القرن التاسع عشر.. وفيما يلي مواصلة لسرد مختصر لأعلام وشخصيات أخر من هذه النخب، ودائما داخل نفس الإطار الزمني السالف الذكر، أي في الفترة التي تسبق دخول الاستعمار إلى المغرب..

2/ عبد الله بن سعيد: كان عبد الله بن سعيد عاملا على سلا، وذلك على أثر والده الذي كان هو أيضا عاملا عليهما، حيث بلغ مجموع حكم الابن وأبيه لسلا خمسين سنة، وقد خلفهما بعدهما الصبيحي الأول والصبيحي الثاني، وحكموا سلا خمسين سنة أيضا. مما يعني أن المدينة دانت لحكم أسرتين متتاليتين لمدة قرن من الزمن.

اشتهر عبد الله بن سعيد بعلاقاته المميزة ببعض القناصل في الرباط: فقد احتك بالقنصل الألماني والقنصل البريطاني والقنصل الفرنسي، وتشبع بالكثير من أفكارهم حتى أنه دعاهم جميعا لزيارته في منزله. ولربما هذا المسار الدبلوماسي والمخزني اللافت ساعده لكي يعين نائبا للمندوب المغربي في طنجة. أي بالاصطلاح المعاصر: نائبا لوزير خارجية المغرب الذي كان مستقرا في طنجة، حيث كانت في البداية تتواجد البعثات القنصلية قبل أن يأخذوا في الانتقال تدريجيا إلى الرباط.

ارتبط اسم عبد الله بن سعيد كذلك بسهره على إعداد أول مشروع إصلاح وطني في المغرب ورفعته إلى الملك، وهو مشروع دعا فيه إلى إصلاح أحوال التعليم والفلاحة والتجارة والجيش والخدمات وإلى تنظيم الضرائب وبناء الطرق والموانئ...الخ.

3/ علي ازنيبر: ينتهي على ازنيبر إلى إحدى العائلات العريقة في سلا. وعرف عنه بأنه أثناء إيابه من الحج اختار عن طواعية الاستقرار في مصر لمدة عشرين سنة، وهناك تأثر بما كان يروج من أفكار ونظريات وصراعات سياسية ومبادرات على المستوى الفكري والديني والتحرري. هذا التكوين النظري كان محفزا له لدى عودته إلى المغرب على اقتراح مشروع دستور على السلطان نفسه. وبهذا، يعتبر علي ازنيبر أول مغربي تقدم بمشروع دستور، علما أن المملكة المغربية كانت تعيش آنذاك أوضاعا منغلقة ومضطربة في آن، وتحيط بها من كل جانب، الأطماع الأوروبية الفرنسية منها والإسبانية والإيطالية والبريطانية، وأخطر الأطماع كانت من جهة الفرنسيين الذين كانوا يقرعون أبواب المملكة على مستوى حدودها مع الجزائر. أما مشروع الدستور المذكور فقد كان مشتملا على مضامين إصلاحية تنصب بشكل أساسي على تنظيم السلطات الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية وحدود كل سلطة إزاء الأخرى.

رابعاً- النخب وأدوارها في المجتمع السلاوي قبل وإبان الحماية

سبق دخول الاستعمار إلى المغرب أعراض كثيرة دلت على وشوك انهيار الدولة المغربية ، أبرزها انحسار السلطة المركزية عن كامل التراب الوطني، ومحاصرة جماهيرية لمدينة فاس العاصمة وقتئذ، وقد حثَّ الناسَ على حصارها عدمُ اهتمام السلطان مولاي عبد العزيز والسلطات بما يجري في البلاد، ولعل هذا هو بالذات ما دفع أخاه مولاي الحفيظ بمراكش كي يعلن نفسه ملك الجهاد، بعد أن عاين عن كثب دخول الفرنسيين إلى وجدة ووصولهم إلى الدار البيضاء، في اللحظة التي فرض فيها مؤتمر الجزيرة الخضراء لسنة 1906 شروطاً تعجيزية على المغرب.^{viii}

1/ ملمح من الانقسام السياسي للنخب السلاوية: أما التأثير المباشر لهذه الأحداث المزلة على النخبة السلاوية، فقد انقسمت مولاتها بين الجناحين العزيمي والحفيظي؛ "العزيميون" يرون التزام بيعة السلطان مولاي عبد العزيز ، ولا يجوز التنصل منها إلا وفق الضوابط والشروط التي أقرها الإسلام والفقهاء الإسلامي في الموضوع، أما "الحفيظيون" فقالوا بوجوب خلع البيعة عن هذا الأخير، لسوء تديره مقاليد الحكم وإقرارها لأخيه مولاي عبد الحفيظ المتوثب الحامل للواء الجهاد، خاصة وأن الأخطار كانت محدقة بالمغرب مطبقة عليه من كل جانب، وأن بعض جهات البلاد وقعت تحت نير الاحتلال بالفعل.. وفي هذا الصدد، وعلى سبيل المثال، انضم عبد الله بن سعيد وآل الصبيحي إلى الجناح العزيمي نظراً لأنهم كانوا عمالاً وحكاماً في المدينة، بينما أعلن آخرون ولاءهم للجناح الحفيظي كقاضى المدينة الحاج علي عواد، بكل ما يملك من قوة ونفوذ وتواصل مع الناس لأنه كان يؤمهم في صلاة يوم الجمعة بالمسجد الأعظم ويخطب فيهم، ولم يعدم الفرص لكي يحرضهم على ضرور اتباع منهجية التحرير للحفاظ على الأرض والعرض والدين، وأن استمرار هذا الوضع والقبول به لن يفضي سوى إلى الخراب التام للبلاد والعباد.

2/ ملمح من تدبير المجتمع السلاوي: بفضل نخبه وقواه العاملة والنمط المتسامح لتراثيسته الاجتماعية: إذن في ظل الأجواء المضطربة كيف كانت تنتظم العلاقات وتُدبَّر بين السكان؟ ومن كان داخل تلك النخب يتولى مهمة إصلاح ذات البين، في حال ما إذا نشبت نزاعات بينهم؟

في سياق بسط بعض عناصر جواب السؤال السابق، يجب التنويه هنا بدور الأشراف أو "الشرفاء" أي أولئك الذين ينتسبون إلى الدوحة النبوية الشريفة، وكانوا ذوي مكانة واعتبار ويحظون بكل آيات التكريم وكانوا يعتبرون من حكماء المدينة ويرتضي الناس على مختلف شرائحهم الاجتماعية والمهنية تحكيمهم عن طواعية وكان الناس ينزلون إلى كلمتهم وتحكيماتهم وحلولهم لدى بَتِّهم في الخلافات التي تسند إلى نظرهم، سواء فيما بين التجار أو بين العمال أو العائلات، وما كان لجوء الناس إليهم إلا لاستحيائهم من الذهاب قبلاً إلى القضاء ، فيفضلون أن يظل الخلاف سرا داخل العائلات على أن يحسم فيه بتراضهم ورضاهم الكامل شريف من الشرفاء. وبالطبع لن يخفى هنا على أحد أهمية هذه المهمة التحكيمية التي كان ينهض بها هؤلاء من حيث المحافظة على نوع من السلم الاجتماعي بالمجتمع السلاوي.

في الدرجة الثانية كان هناك العلماء. وهؤلاء لم يكونوا كلهم سلاويي الأصل فبعض منهم نزح إلى سلا عبر حقب متعددة وارتقى رويدا رويدا في السلم الاجتماعي حتى أضحت لهم مكانة معتبرة تكاد توازي مكانة الأشراف. وهي مكانة استمدت أساساً من الوظيفة التي كانوا ينهضون بها والتي كانت على قدر جليل من الأهمية والنفع للناس ألا وهي إفتاء الفتاوى والاجتهاد وتقديم الحلول الشرعية والفقهية لمشاكلهم الدينية والدينية.

يلي العلماء الأعيان أو الأغنياء أو البورجوازيون المشار إليهم سلفاً، وكانت العلاقة بينهم تمتاز بالمنافسة الشديدة داخل المجتمع.. ثم هناك بالطبع طبقة العوام أو عامة الناس وغالبيتهم صنّاع تقليديون إلى جانب الفلاحين والتجار من

الصناع التقليديين، فسلا على غرار المدن العتيقة كانت تشتهر بأنواع خمسة من الصناعة التقليدية، ولربما اختصت بها في فترة من الفترات:

النوع الأول صناعة "لخصاير" المخصصة أساسا لبسطها كفرش وتغطية أرضيات المساجد للصلاة فوقها، كانت مادتها من نبتة "الدوم" التي عادة ما تزرع خارج أسوار سلا وقريبة منها، وقد تخصصت معامل تقليدية كثيرة بسلا في صناعة الحصير أو الحصائر وتسويقها إلى مختلف المدن والبوادي المغربية.

النوع الثاني صناعة الزرابي وإن كانت قد انتقلت بصفة مفاجئة إلى الرباط وأصبحت تسمى الزربية الرباطية، بينما هي في الأصل الزربية السلاوية.^{ix}

النوع لثالث نمط خاص من الطرز التقليدي السلاوي، الذي يتطلب وقتا طويلا لإنجازه، قد يتجاوز السنة أو السنتين من دقة الحياكة والتنميق والتزيق كزينة العروس أو طرحتها مثلا.

النوع الرابع صناعة "البلغة" على اختلاف أنواعها وأشكالها.

النوع الخامس صناعات "الفخار" ومنها اشتهر صناعة "الطاجين"، الذي مازال إلى حد اليوم يطلق عليه اسم الطاجين السلاوي، المصنوع من الفخار.^x

3/ ملمح من أدوار الزوايا والأضرحة بمدينة سلا وعلاقتها بفكرة "النخب": إلى جانب مساجد و"مساجد" سلا ثمة شيء آخر ميز هذه المدينة، وأعطاها طابعا متفردا؛ يتعلق الأمر بكثرة الزوايا والأضرحة بها. وهذا الأمر سيبدو طبيعيا جدا إذا ما أحصينا العدد الكبير من مروا من صفوة رجالات العلم والطب والفلسفة والعبادة والتقوى ومنهم أهل الله، فيما يكاد يشبه الصفوة الدينية^{xi} الذين اختاروا هذه المدينة، محجا ومنزلا ومستقرا، حتى إذا ما توفاهم الله إليه أقام الناس لجثامينهم أضرحة عن محبة وتقدير وطلبا للتبرك بهم والتوسل بأعمالهم الصالحة لأجل التداوي والتشافي ونحوه من رجاءات وسلوكات بدعية انتشرت ثم رسخت في تعامل الزوار مع أضرحتهم. كما أنهم أنشأوا على هامش تلك الأضرحة زوايا تنتصر للطريقة التصوفية لفلان أو طريقة علان: حتى إذا ما ذاع صيتها أصبحت مهوى قلوب الحجاج وسفرهم من كل حذب وصوب داخل المغرب وخارجه، وصارت مسلكا يسلكه المريدون ممن اختاروا وتعصبوا لطريقة بذاتها..

من هذه الزوايا الزاوية العيساوية والزاوية الدرقاوية والزاوية التيجانية والزاوية المباركية والزاوية الناصرية والزاوية الخُسونية والزاوية الحجية والزاوية الوزانية.. الخ. ومما يجب ملاحظته هنا أن مدينة سلا على صغرها كانت رائدة في احتضانها كل هذا الكم الهائل من الزوايا. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل بقوة على خصلة أو قيمة تسامح المجتمع السلاوي وانفتاحه على الآخر الوافد بل واستيعابه له كجزء منه له اعتباره في الحياة وبعد الممات، خاصة إذا كان هذا الآخر نخبويا بالمعنى الإيجابي حمّالا لمعارف لدنية صوفية. وبالفعل فلقد كان المجتمع السلاوي بذاته موزعا في انتسابه بين الزوايا، في سماحة وتواءم مثيرين للإعجاب وفي وإيمان عظيم بحق الاختلاف دون أن يعيب أحد على أحد انتماءه لزاوية دون أخرى. إذ أن التمثل السائد لديهم جميعا أن الزوايا طرق تعبدية والطرق التعبدية كلها تؤدي إلى الله. وتلك قيمة أخرى يجوز أن تحسب للمجتمع السلاوي ولنخبه المؤطرة.

إن الأضرحة بسلا على غرار الزوايا عديدة ومتعددة بل ومتنوعة منافعها واختصاصاتها في تصورات وتمثلات مرتاديها من الناس. وبهذا المعنى يمكن أن نضرب بضريح سيدي أحمد بن عاشر (القرن 14م) مثلا: هذا الرجل العالم والطبيب والمفكر والأبي عزيز النفس الذي عرف عنه أنه كان يرفض أن يخرج لاستقبال السلاطين ويقول لهم: "ادخلوا للسلام عليّ ما أنا خارج للسلام عليكم".

لقد كان من الآمال التي علقت على أدوار هذه الأضرحة توسل الشفاء البدني أو النفسي عند أعتابها وبشفاعة الأرواح المقيمة فيها، ففي مثال ضريح سيدي أحمد بن عاشر الموجود قرب الأسوار القديمة المطلة على البحر، كان هذا المكان

يلعب دور مصحة للعلاج النفسي بجدارة بغض النظر عن طرق العلاج الشعبية والشعبية. والضريح هنا كان يستهدف كل من يعاني من الاضطراب النفسي حتى لو بلغ ما ألم به حد الهذيان والهلوسة والجنون والهيجان، وكان في نفس الآن يلعب دور معزل آمن يُعزّل فيه عن الأسوياء في المجتمع السلاوي، المختلون عقليا ممن يرتاب بأنهم يشكلون على غيرهم مصدر خطر تهديد. ولأجل تحقيق هذا العزل، كان في الإمكان اللجوء، إن اقتضى الحال، إلى استعمال السلاسل الحديدية والحبال وتكبيليهم هناك لأيام أو أسابيع أو شهور في انتظار حصول أو نزول بركة الولي الصالح.^{xii}

4/ ملمح من الانفتاح الخارجي والدراسة في الخارج وتأثيرها على التوجهات السياسية والتحررية لبعض أفراد النخبة السلاوية / الحاج أحمد بن محمد معينو الأندلسي السلاوي: سنة 1930، شاب سلاوي من أسرة متوسطة سيقدر الذهاب إلى الحج وسيلقى كل الدعم والمساعدة من أبيه الذي سيؤثره على نفسه بسبب عدم توفرهما على مال يكفي لحج شخصين، وفي الباخرة المتوجهة إلى المشرق، سيلقي الحظ السعيد بين يديه فرصة التعرف على أستاذ للتاريخ من أصول لبنانية مسيحية وطيلة الرحلة سيهمل منه بصفة خاصة سياقات التاريخ الذي شهده الجيز الجغرافي للبحر الأبيض المتوسط وحواليه، سيتعرف لأول مرة على الرومان والإغريق والفينيقيين والفراعنة والشرق الأوسط والقدس وفلسطين ونحوه.. سيتشبع فكره بأشياء جديدة لم تألفها معرفته النمطية من قبل.

في بيروت التي اختار المرور بها، سينهر بعمران مدينة مختلفة تماما: عمارات وشوارع وأضواء وفنادق ومتاجر وملاذ وشوارع فسيحة وجميلة ونظيفة.. الخ. سينهر كذلك بالجرائد والمجلات التي تباع على الأرصفة فيما المجتمع البيروتي بوعي كبير يقبل على شرائها ومطالعتها.. لكن ما سيهره أكثر هو معانيته الأولى في حياته/ لمظاهرة احتضنتها طرق وأزقة وأحياء بيروت. المظاهرة كانت احتجاجا جماهيريا ضد شركة كهرباء تعمدت رفع أسعار فواتيرها سننيمات قليلة فألب فعلها الجانح البيروتيين وجمعهم على قلب رجل واحد لأجل مقاطعتها والتنديد بمسها بقدرتهم الشرائية، وسيرى الرجل في تلك الليلة عجباً؛ سرى أهل بيروت ينوعون في أشكال احتجاجهم الغريبة ويبعدون في مواصلتها بالامتناع عن استعمال الكهرباء مكتفين بالشموع لإنارة بيوتهم.

لم يكن هذا الشاب سوى الحاج أحمد معينو الأندلسي السلاوي ويبدو أن جولته تلك لم تشكل له زخما معرفيا تنويريا فحسب، بل أيضا ما يشبه نوعا من الصدمة الحضارية. دليل ذلك أن عودته إلى المغرب شهر ماي 1930.^{xiii} أي بالضبط في الفترة التي أصدر فيه المستعمر الفرنسي ظهيره البربري^{xiv} لم تكن سوى منطلق تجريبي لاختبار ما حصله من معارف نظرية في أرض الوطن وخارجه وتنزيل ما اعتنقه من مواقف وطنية ومبدئية على محك الواقع بما في ذلك شكل الاحتجاج المهر الذي شهده في بيروت ولم يكن يفارقه خياله. وهو ما ألهمه حقا فكرة عبقرية لمحاربة الظهير المشؤوم مناطقها اعتماد تقنية المظاهرات الحديثة بصيغة بارعة مبتكرة. وقد تعضدت الفكرة حين انضم إليه على الفور مناصرون مساندون من أصدقائه وأهله ثم جزء عظيم من النخب السلاوية والمغربية^{xv} ونخب الحركة الوطنية بصفة عامة. ثم حدا حدوهم المغاربة قاطبة.

وهكذا تقرر أن يقرأ ورد "للطيف" يوم الجمعة بعد الصلاة. وذاك على خلاف ما اعتاده الناس إذ كانوا لا يقرأونه إلا عند القحط والجفاف أو الفيضان أو الوباء المستشري أو عندما تتعرض البلاد لعدوان خارجي شرس مطبق محقق، فكانت تلك أول قراءة للطيف بعد سياسي مغاير لمألوفات القوم وبفضل نخبة سلاوية قليلة العدد معظم مكوناتها من الشباب. وعليه، فقد قرئ للطيف^{xvi} لأول مرة في الجامع الأعظم بسلا بمبادرة من النخبة الوطنية السلاوية، وقرئ في الجمعة التي تليه بمساجد فاس ومراكش وبعدها في وجدة فالدار البيضاء.. ولم يلبث أن وصل صدى "للطيف" إلى المغرب والمشرق العربيين يلهمهما شبه الجزيرة الهندية وباكستان فتداعى له بالتضامن علماؤهم هناك والمسلمون ممن تناهى إليهم في كل مكان.

ولم يلبث نجاح مشروع اللطيف الاحتجاجي أن وسع من مدارك النخبة المذكورة في اتجاه انخراطهم في محاصرة خبث نية الاستعمار وتآمراته، وذلك على مستويين: مستوى ديني بكبح تطلعات المستعمر إلى ضرب الإسلام كأقوى عامل لحمة يؤلف بين مختلف مكونات الشعب المغربي بالواحد، وعلى مستوى لغوي: برفض إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية وبتبني لغة الضاد باعتبارها لغة مقاومة ولغة وطنية ولغة قومية بالإضافة إلى الاعتبارات الأخرى. ولإبراز مضاء هذا العزم تأسست بسلا أول جمعية خيرية سميت بـ "جمعية المحافظة على القرآن الكريم"، وبمجرد أن تم انتخاب رئيسها ومكتبها قامت ببدعة لم يعتدها الناس فحووها إذ جلبت القراء والحفاظ والتلاميذ والشباب من كتاتيبهم وجمعتهم تحت سقف مسجد واحد ودعتهن إلى اقتناء وشراء المصاحف و تلاوة القرآن بشكل جماعي والصدع بالتلاوة على إيقاع صوت واحد^{xvii}. وفي هذا الموضع ثمة قصة طريفة مفادها أن الملك سيدي محمد بن يوسف تنهى إلى علمه رسوخ بدعة التلاوة الجماعية للقرآن بين الشباب السلوي وتمردهم فقرر أن يتسلل إلى مسجد سلا عبر الباب القريب من الزاوية التيجانية، وهناك أنصت إلى القراءة الجماعية وتأثر بها أيما تأثر حتى أنه انقلب إلى محبها، بل وقيل إن هذا غدا ديدنه بالفعل، وإن كلما انتابه توتر أو إحباط أو يأس أو ضاق صدره من كرب أو بأس، اتخذ المسجد المعلوم ملاذه والاستماع لما يتلى من القرآن جماعيا دواءه وطوقا له نحو الطمأنينة والسكينة وصفاء الروح والفكر.

ب/ المناضل محمد حصار: في سنة 1933 برز شاب جديد من النخبة السلوية اسمه محمد حصار. عُرف عنه أنه من عائلة غنية ومثقفة ويحسن كتابة النداءات والمقالات باللغتين العربية والفرنسية وينشرها في بعض المجلات كمجلة ذات خط تحريري تحرري تسمى "المغرب"^{xviii}. كان هذا الشاب على غاية من التيقظ والانتباه إلى المكائد التي يحيكها المستعمر لضرب الالتحام بين الشعب المغربي وعرشه، وهذا ما حفزه إلى ابتكار فكرة الاحتفال بعيد العرش بالملكة المغربية وتحمس لها بالدعوة والشرح في الخطب المباشرة وفي مقالاته المكتوبة حتى جمع حول فكرته أنصارا كثيرا من النخبة السلوية أولا ثم من باقي النخب المغربية ثم من عامة الناس بعد أن بين خصوصا أن الاحتفال ليس ببدعة ضالة مضلة وأنه على غرار الأعياد والمناسبات الدينية أمر وطني جيد ومحبد ومفيد وخال من أي موانع شرعية. ولربما ألهم فكرته من احتفالات فرنسا بعيدها الوطني عند كل رابع عشر من شهر يوليو. وهكذا إذن وجدت دعوته محتضنا طبيعيا مشجعا لدى النخب السلوية، فتأسست بمقتضاها في شهر نونبر اللجنة المحلية لإعداد الاحتفالات بعيد العرش، الذي ينبغي التسطير هنا على أنه لم يكن قرارا رسميا سلطانيا وإنما بمبادرة شعبية تلقائية محضة..

سلفت الإشارة إلى أن "محمد حصار" كان من أسرة غنية ومثقفة وكان يدرس بمعية مجموعة من الطلبة المغاربة الآخرين الذين سيشكلون فيما بعد نواة النخبة السلوية بثانوية مولاي يوسف ذات الطاقم التدريسي الفرنسي، وكان من حسن حظه وحظهم أن بعضا من أساتذته الرفيعي المستوى يساريو النزعة منتمون إما إلى الحزب الشيوعي وإما إلى الحزب الاشتراكي، كانوا يحثون تلاميذهم على التسليح بصفاء التصور ووضوح المطالب والعرائض أثناء انتقادهم لفرنسا الاستعمارية، لأنه ينبغي انتقادها، حسب هؤلاء المدرسين الفرنسيين، بعلم وبوعي تاريخي شامل وبخطط واضحة وبرامج مدروسة متضمنة لما يريدون منها. من هنا تفتقت فكرة تحرير وثيقة تاريخية سنة 1934 مشتملة على أهم "مطالب الشعب المغربي". وكان محمد حصار طبعا وكعادته هو من كتب مسودتها قبل تعديل شيء قليل من مضامينها وإقرارها من طرف النخبة السلوية إثر اجتماعات استشارية مطولة. وكان مختصر الوثيقة المطالبة باسم الشعب بالإصلاح في إطار الحماية:^{xix} كإصلاح التعليم والقضاء والفلاحة واحترام الحريات العامة.. الخ ولقد بعثوا نسخة من مشروع الوثيقة إلى النخب الوطنية الرباطية والفاسية^{xx} وباقي المدن لتعميم المطالبة في أرجاء المغرب قاطبة وباسم الأمة المغربية جمعا.

في سنة 1936 اصطدمت النخب الوطنية بمواجهة ومجابهة تعنت الحكومة الفرنسية في الاستجابة لتلك المطالب، الأمر الذي دفع الوطنيين والحركة الوطنية إلى تقديم وثيقة جديدة، سميت بوثيقة "المطالب المستعجلة للشعب المغربي". وخلال مؤتمر عقدهه بالرباط داخل منزل سيدي أحمد الشرقاوي وهو من أعلام الحركة الوطنية، تقرر أن يلي مباشرة بعد تقديم

هذه الوثيقة الاستعجالية الانتظام في المظاهرات والتجمعات بغرض تأييدها بطريقة تدريجية ودورية وليس دفعة واحدة، وأن يتم الإشراف عليها وتأييدها من خلال اجتماعات تنعقد كل مرة في بيت وطني من الوطنيين وفي مدن رائدة في النضال مختلفة^{xxi}. لذلك ستشهد سنة 1936 أيضا مظاهرة حاشدة فريدة رفع فيها شعارفريد سابق لأوانه شعار حرية الصحافة، مظاهرة لم يستسغها المستعمر الذي ألقى القبض على الحاج أحمد معنينو رحمه الله بصفته متزعم المظاهرة وقائدها وحكم عليه بستة أشهر سجنا نافذة.

خاتمة والمغزى من سرد بعض الميزات العمرانية لسلا وبعض وقائعها التاريخية وبعض ملامحها الاجتماعية وبعض شخصياتها المؤثرة القيادية^{xxii}، هو محاولة إعطاء صورة نوعية للنخبة السلاوية الجديدة الوطنية المواطنة الشعبية خلال الفترة المستهدفة بالدراسة والتأمل، لا نعني هنا سوى النخبة التي تفتق وعيها ثم تشكل وانصهر في بوتقة من المناهضة والحساسية الفائقة اليقظة ضد الاستعمار وأعوانه من الخونة وضد مؤامراته ومخططاته السرية والجهرية في أن يصبح له موطن قدم راسخة بالمغرب وأن تنقلب معاهدة الحماية إلى استعمار أبدي رازح على صدور العباد والبلاد، وهي وطنية بوعيها الجديد المرتفع تجاه الأخطار المحدقة القادمة من جميع جهات المملكة، وبأسلوبها المنفتح المتنور التنويري المقتبس من تجارب وسياقات الآخر وبفعلها وأدائها التاريخي الباصم المشهود له، وهي نخبة مواطنة شعبية، إن جاز التعبير، لأنها نجحت في تحقيق الالتحام الجماهيري التشاركي المنشود وعانق إيقاعها نبض الشعب واعتمدت الخطابات الأرسخ في وجدانه خاصة الخطاب الديني والعقائدي والوطني، كما أنه يسجل لها بأن هياكلها وأطرها وطلبيتها انتقلت بفعالية ونجاعة من التنظير إلى التنزيل فضربت المثل بنفسها وهي تترجل من برجها العاجي إلى عتبات الجماهير وتنخرط في صلب حركتها المقاومة المتصاعدة، ويسير في قلب تلك الحركة/ الأعيان جنبا إلى جنب مع الضعفاء والأغنياء مع الفقراء والصفوة مع عامة الناس. علما أن الاجتماعات التأطيرية أصبحت لا تقتصر فقط على أصحاب النفوذ والأعيان بل تولى زمامها الصانع التقليديون والعمال والفلاحون الذين كلفوا كذلك بالإشراف على المظاهرات بسبب العدد القليل لمكونات النخبة الوطنية حيث لم تكن لتتجاوز في البداية 15 عضوا^{xxiii}.

بيد أن المكتسبات السالفة الذكر لن تحول دون عواصف وقواصف سنة 1937 التي أتت على غير المأمول بجلبها إلى عقر الدار أزمة بنيوية عميقة تدعى لها سائر الجسم الوطني المغربي بالسهرة والحمى؛ إنها طبعاً أزمة انشقاق الحركة الوطنية المغربية وانقسامها إلى حزبين: الحزب الوطني الذي تحول لاحقا إلى حزب الاستقلال، والحركة القومية التي أصبحت فيما بعد حزب الشورى والاستقلال. وبدورها وتحت التجاذبات والاستقطابات التي أنتجها الحزبان الوليدان المتنافران لم تسلم النخبة السلاوية عينا من هذا الانقسام المحزن الكئيب^{xxiv}.

استمر الانشقاق إلى غاية سنة 1944 سنة تقديم العريضة التي يحتفل بها الشعب المغربي عند كل 11 يناير والتي للأسف رغم تفردا بتجاوز حاجز المطالب الإصلاحية نحو المطالبة بالاستقلال في حد ذاته، فإنه تم تقديم وثيقتها الأولى إلى الملك سيدي محمد بن يوسف من جانب واحد، جانب الحزب الوطني أو حزب الاستقلال فيما بعد. حينئذ اغتنم المقيم العام الفرنسي غبريال بيو الفرصة لينتقد مشروعية العريضة بدعوى أنها لا تعبر عن الشعب المغربي قاطبة، وأن نصف الشعب على الأقل، حسب زعمه، لا يرغب في خروج فرنسا من المغرب، هذا بالضبط ما دفع الملك إلى مطالبة الحركة القومية بتقديم عريضة ثانية وهذا ما صوت في 13 يناير 1944.

رد العريضة على مقدمها داعيا إياهم إلى رأب الصدع أولا وإصلاح البيت الداخلي وأن يوقع على عريضة المطالبة بالاستقلال مختلف نخب وقيادات وفعاليات الحركة الوطنية بلا استثناء، سواء كانوا من هذا الحزب أو من ذاك. وفعلا استجيبت دعوة الملك وأعيدت إليه العريضة، بعد مهلة يومين، موقعة من لدن الجميع.

وجب التنبيه في الختام إلى أن لقطة العريضة التاريخية الالتحامية المؤثرة المشار إليها، لم تنجح أن تقف، للأسف، سدا منيعا دون استمرار تلك الانشقاقات الموبوءة، من لحظة ما قبل الاستقلال إلى ما بعده إلى يومنا هذا. وهي انشقاقات مثلما طالت الأحزاب^{xxv} طالت، بشرخ أكبر، النخب المغربية بما فيها النخبة السلاوية. هذه الأخيرة التي أخذت رويدا رويدا تتراجع عن مكانتها المتألقة وعن أدوارها الريادية بسبب الدواعي السياسية السالفة الذكر، وأيضا من جراء التطورات التي طرأت على مدينة سلا سواء على المستوى الديموغرافي (ارتفاعاً في عدد السكان) أو الجغرافي (زيادة في المساحة) أو العمراني تخلياً عن شكل المدينة (التقليدي القديم) أو التقني (على صعيد مجموعة من المهن والحرف والصناعات التقليدية). كما أن هذه التطورات طرأت على أنماط الإكراهات والتحديات والتمثلات والرهانات المرتبطة بالمجتمع السلاوي المعاصر.

¹ في بداية الاستقلال كان عدد سكان مدينة سلا خمسة وثلاثين ألف نسمة

¹ يناهز في يومنا هذا مليوناً ومائتين وخمسين ألف نسمة

¹ كانت الشوارع بسلا تكثر مهنيًا لمختلف ضروب الحرف والصناع، فتدعى بهم كشوارع الحدادين والنجارين والخرازين

¹ سميت بمنطقة الطالعة، لأنها جاءت مرتفعة عن مدينة سلا وهي المنطقة التي يعتقد بأنها كانت تضم آنذاك الأحياء البرجوازية للمدينة، إن جاز الوصف.

¹ أي كانت خليطاً منسجماً من البدو النازحين من بوادهم ومن المدينيين المنتسبين لأهم المدن والحواضر المغربية والعربية.

¹ 3 مقابلها في اللغة العربية الفصحى القرية بكسر القاف أي قرية الماء

¹ ينبغي هنا التذكير والتنويه بموقف المحاضر الذي يرى أن مدينة سلا توفرت بالفعل على نخبة قبل دخول الاحتلال إلى المغرب سنة 1912 وذلك ضداً

على الفكرة التي يروجها بعض المؤرخين الفرنسيين والتي تنزع إلى القول بأن النخب لم تبرز في المغرب إلا بعد الحماية الفرنسية وبفضل الحماية الفرنسية

¹ من هذه الشروط: 1-1 إنشاء البنك المغربي والذي عوض ببيت المال، ومساهمة الدول الأوروبية وينسب مختلفة في رأسمال البنك ومنح

الحكومة المغربية الاسبقية في حالة أراد الاقتراض، وكتكريس لانتهاك السيادة المغربية فإن هذا البنك كان يدار حسب القانون المالي الفرنسي، على أن

يختص القضاء السويسري في النظر في المنازعات التي قد تحدث بين الحكومة المغربية والبنك. 2- تدويل المرافق العامة المغربية واخضاع سلطة الحكومة

المغربية عليها لرقابة دولية، وهو ما أعتبر بدايات سياسة التدبير المفوض في المغرب. 3- المعاهدة أوجدت مبادئ وامتيازات جديدة لصالح الدول الأجنبية

تحصل بموجبها على حقوق تمس سيادة الدولة المغربية. 4- منح الأجانب حق تملك الأراضي في بعض المناطق من المغرب، وإن كانت محدودة من حيث

المساحة والمكان، إلا أنها شكلت سابقة في تاريخ المغرب، وذلك مقابل أدائهم لضريبة الترتيب

¹ حسب رأي الأستاذ المحاضر ملقي هذه المحاضرة التي تم تفريغها إلى مقال.

¹ تنأى إلى علم الأستاذ المحاضر بأنه في الآونة الأخيرة تم اكتشاف عدد من الأفران التقليدية التي كانت تستعمل في طبخ هذا الفخار، وحسب المعاينة

الأولية فإنه يرجح أن هذه الأفران تعود إلى عهد الموحدين، أي إلى حوالي ألف سنة من قبل.

¹ أو باعتصام بجزء علمية أكبر تحاول أن تتوصل إمكانية توسيع مفهوم "النخبة" يمكن القول افتراضاً وتجاوزاً فيما يشبه النخبة الدينية المستمر

تأثيرها ونفوذها في الحياة وبعد الممات.

¹ كانت هذه الممارسات والطقوس العلاجية مألوفة ومعمولاً بها إلى وقت قريب بسلا حيث يؤكد المحاضر في محاضراته كيف كان في طفولته يذهب مع

أقرانه، إلى ضريح سيدي بن عاشر ويتجسسون من خلال ثقب مفتاح باب الضريح على أشخاص مكبلين بسلاسل الحديد.. ويشرح المحاضر كيف كانت

تعطى لهم في مرحلة أولى بعض الأكالات التي تبعث على الاسترخاء والنوم والتخلي عن الهيجان وضبط النفس، ثم يدخلونهم في مرحلة ثانية إلى غرفة

صغيرة جداً وقليلة الضوء تدعى "البنيقة" وهناك قد يمكثون شهراً جوار الولي الصالح في انتظار نزول بركته مما قد يعينهم على الدخول في حالة نفسية

رفيعة من التأمل والتسامي وكأنهم يزاولون ما يشبه رياضة اليوغا.

¹ هو والد الأستاذ محمد الصديق معيتو الذي ألقى هذه المحاضرة المفردة على شكل مقال، وقد توفي رحمه الله تعالى في 11 ماي 2003 عن عمر يناهز

97 عاماً.

¹ سياسة استعمارية نظراً لها الفرنسيون قبل دخولهم إلى المغرب بسنوات، هدفها تقسيم المغرب عبر مخطط التفرقة بين العرب والبربر بدعوى أن

الأمازيغ ليس لهم أي علاقة بالإسلام وأنهم جماعات مختلفة وكيان مستقل بعباداته وتقاليده الخاصة التي تستوجب في نظر الاستعمار الفرنسي إطاراً

تشريعياً وتحكيمياً خاصاً سواء في أحوالهم الشخصية أو في منازعاتهم بمعنى إطاراً خارج فتاوى الفقه وأحكام الشريعة والتشريع الإسلامي، على أن

تحال قضاياهم الأخرى ذات الطابع الجنائي المستعصي على محاكم الاستئناف التابعة للحماية الفرنسية. وقد كان أول من اكتشف مؤامرة الظهير

البربري وهو مازال مشروع مسودة سرية، شاب يدعى عبد الله أصبجي أحد أفراد النخبة السلاوية المتنورة حيث كان يشتغل آنذاك موظفاً بالإدارة

الفرنسية.

¹ كان الانخراط الأولي في مقاومة الظهير البربري بمثابة شهادة ميلاد الحركة الوطنية المغربية.

¹ كانت صيغة اللطيف الشهيرة أن يردد الناس جماعياً في فضاءات المساجد: اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، لا تفرق بيننا وبين

إخواننا البرابر".

¹ كان العرف من قبل يقتضى أن يقرأ القراء وحفاظ القرآن والفقهاء خمسة أحزاب في صمت، ولا يجوز لأحد أن يرفع صوته في المسجد أو القيام بأي

شيء عدا الصلاة. فكانت النخبة الوطنية السلاوية إذن وراء ابتداء ما صار ديدن الناس إلى اليوم ألا وهو التلاوة الجماعية للقرآن ما بين العشاءين وبعد

صلاة الفجر. والجميل أن هذه التلاوة يشترك فيها الحفاظ بتلاوته عن ظهر قلب وغير الحفاظ باعتماد المصاحف.

¹ مجلة المغرب التي تصدر باللغة العربية لمؤسسها ومديرها هو الأستاذ محمد ميسا.

¹ لم تكن فكرة المطالبة مطروحة بعد في هذه المحطة التاريخية من نضال النخب المغربية والشعب المغربي.

¹ رحل الوطني الكبير سي بوبكر القادري إلى الرباط وقدم هذا المشروع للوطي الكبير محمد الزيندي، ورحل الحاج أحمد معيتو إلى فاس وقدم نسخة

مشروع الوثيقة للزعيم الراحل علال الفاسي الممثل وقتئذ لتيار القرويين وعلماء القرويين والشعراء والأدباء وللنخبة الفاسية الوطنية، وقدم نسخة

ثانية لمحمد بن الحسن الوزاني لأنه كان يمثل تياراً حدثياً بسبب دراسته في فرنسا للعلوم السياسية للصحافة حيث سيصدر فيما بعد مجلة ذات صدى

كبير رائد، سماها مجلة "عمل الشعب".

¹ انعقد الاجتماع الأول بفاس، الثاني بسلا في منزل لعائلة وطنية هي عائلة "الأحرش". ويدعو المحاضر إلى ضرورة إحصاء أسماء هذه العائلات المخلصة قبل أن يغشاها الإهمال والنسيان وذلك عرفانا وامتنانا لأدوارها الكبيرة في تاريخ الحركة الوطنية.

¹ ما أورده الأستاذ المحاضر من مقتطفات ملامح واستشهادات كانت على سبيل المثال لا الحصر.

¹ حسب المحاضر فإن والده المرحوم الحاج معينو أشار في كتاباته إلى كيف أن هؤلاء الصناع التقليديين العمال والفلاحين كانوا يخفون تحت جلابيهم العصي والشواكير احترازا دفاعيا وتحسبا من أي رد فعل عدواني من طرف الاستعمار وأذنا به.

¹ بلغ هذا الانقسام حدا جنونيا وكان له آثار اجتماعية مدمرة بسبب الغلوئية السياسية والتطرف في الانتماء الحزبي؛ دليل هذا أنه في ظل هذا التنابذ بين الحزبين، لم يعد في إمكانية أي واحد من حزب الشورى أن يطلب مثلا للزواج فتاة من حزب الاستقلال.

¹ لاحظ الأستاذ المحاضر أن الانشقاق سيغدو منذ أن تكرر في صلب الحركة الوطنية المغربية مرضا مزمنًا ووباء متفشيا لم يسلم منه حزب من الأحزاب المغربية إلى الآن.

ⁱ في بداية الاستقلال كان عدد سكان مدينة سلا خمسة وثلاثين ألف نسمة

ⁱⁱ يناهز في يومنا هذا مليونًا ومائتين وخمسين ألف نسمة

ⁱⁱⁱ كانت الشوارع بسلا تكرر مهنيًا لمختلف ضروب الحرف والصناع، فتدعى بهم كشوارع الحدادين والنجارين والخرازين

^{iv} سميت بمنطقة الطالعة، لأنها جاءت مرتفعة عن مدينة سلا وهي المنطقة التي يعتقد بأنها كانت تضم آنذاك الأحياء البرجوازية للمدينة، إن جاز الوصف.

^v أي كانت خليطًا منسجمًا من البدو النازحين من بوادهم ومن المدينين المنتسبين لأهم المدن والحواضر المغربية والعربية.

^{vi} 3 مقابلها في اللغة العربية الفصحى القرية بكسر القاف أي قرية الماء

^{vii} ينبغي هنا التذكير والتنويه بموقف المحاضر الذي يرى أن مدينة سلا توفرت بالفعل على نخبة قبل دخول الاحتلال إلى المغرب سنة 1912 وذلك ضدا على الفكرة التي يروجها بعض المؤرخين الفرنسيين والتي تنزع إلى القول بأن النخب لم تبرز في المغرب إلا بعد الحماية الفرنسية وبفضل الحماية الفرنسية

^{viii} من هذه الشروط: 1-1 إنشاء البنك المغربي والذي عوض بيت المال، ومساهمة الدول الأوروبية وبنسب مختلفة في رأسمال البنك ومنح الحكومة المغربية الأسبقية في حالة أراد الاقتراض، وكتكريس لانتهاك السيادة المغربية فإن هذا البنك كان يدار حسب القانون المالي الفرنسي، على أن يختص القضاء السويسري في النظر في المنازعات التي قد تحدث بين الحكومة المغربية والبنك. 2- تدويل المرافق العامة المغربية واخضاع سلطة الحكومة المغربية عليها لرقابة دولية، وهو ما اعتبر بدايات سياسة التدبير المفوض في المغرب. 3- المعاهدة أوجدت مبادئ وامتيازات جديدة لصالح الدول الأجنبية تحصل بموجبها على حقوق تمتد سيادة الدولة المغربية. 4- منح الأجانب حق تملك الأراضي في بعض المناطق من المغرب، وإن كانت محدودة من حيث المساحة والمكان، إلا أنها شكلت سابقة في تاريخ المغرب، وذلك مقابل أدائهم لضريبة الترتيب

^{ix} حسب رأي الأستاذ المحاضر ملقي هذه المحاضرة التي تم تفريغها إلى مقال.

^x تنأى إلى علم الأستاذ المحاضر بأنه في الآونة الأخيرة تم اكتشاف عدد من الأفران التقليدية التي كانت تستعمل في طبخ هذا الفخار، وحسب المعاينة الأولية فإنه يرجح أن هذه الأفران تعود إلى عهد الموحدين، أي إلى حوالي ألف سنة من قبل.

^{xi} أو باعتصام بجرة علمية أكبر تحاول أن تتوسل إمكانية توسيع مفهوم "النخبة" يمكن القول افتراضًا وتجاوزًا فيما يشبه النخبة الدينية المستمر تأثيرها ونفوذها في الحياة وبعد الممات.

^{xii} كانت هذه الممارسات والطقوس العلاجية مألوفة ومعمولا بها إلى وقت قريب بسلا حيث يؤكد المحاضر في محاضراته كيف كان في طفولته يذهب مع أقرانه، إلى ضريح سيدي بن عاشر ويتجسسون من خلال ثقب مفتاح باب الضريح على أشخاص مكبلين بسلاسل الحديد.. ويشرح المحاضر كيف كانت تعطى لهم في مرحلة أولى بعض الأكلات التي تبعث على الاسترخاء والنوم والتخلي عن الهيجان وضبط النفس، ثم يدخلونهم في مرحلة ثانية إلى غرفة صغيرة جدا وقليلة الضوء تدعى "البنيقة" وهناك قد يمكثون شهرا جوار الولي الصالح في انتظار نزول بركته مما قد يعينهم على الدخول في حالة نفسية رفيعة من التأمل والتسامي وكأنهم يزاولون ما يشبه رياضة اليوغا.

^{xiii} هو والد الأستاذ محمد الصديق معينو الذي ألقى هذه المحاضرة المفردة على شكل مقال، وقد توفي رحمه الله تعالى في 11 ماي 2003 عن عمر يناهز 97 عاما.

^{xiv} سياسة استعمارية نظرت لها الفرنسيون قبل دخولهم إلى المغرب بسنوات، هدفها تقسيم المغرب عبر مخطط التفرقة بين العرب والبربر بدعوى أن الأمازيغ ليس لهم أي علاقة بالإسلام وأنهم جماعات مختلفة وكيان مستقل بعاداته وتقاليده الخاصة التي تستوجب في نظر الاستعمار الفرنسي إطارا تشريعيا وتحكيميا خاصا سواء في أحوالهم الشخصية أو في منازعاتهم بمعنى إطارا خارج فتاوى الفقه وأحكام الشريعة والتشريع الإسلامي، على أن تحال قضاياهم الأخرى ذات الطابع الجنائي المستعصي على محاكم الاستئناف التابعة للحماية الفرنسية. وقد كان أول من اكتشف مؤامرة الظهير البربري وهو مازال مشروع مسودة سرية، شاب يدعى عبد الله أصبجي أحد أفراد النخبة السلاوية المتنورة حيث كان يشتغل آنذاك موظفا بالإدارة الفرنسية.

^{xv} كان الانخراط الأولي في مقاومة الظهير البربري بمثابة شهادة ميلاد الحركة الوطنية المغربية.

^{xvi} كانت صيغة اللطيف الشهيرة أن يردد الناس جماعيا في فضاءات المساجد: اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، لا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر".

^{xvii} كان العرف من قبل يقتضى أن يقرأ القراء وحفاظ القرآن والفقهاء خمسة أحزاب في صمت، ولا يجوز لأحد أن يرفع صوته في المسجد أو القيام بأي شيء عدا الصلاة: فكانت النخبة الوطنية السلاوية إذن وراء ابتداء ما صار يدن الناس إلى اليوم ألا وهو التلاوة الجماعية للقرآن مابين العشاءين وبعد صلاة الفجر. والجميل أن هذه التلاوة يشترك فيها الحفاظ بتلاوته عن ظهر قلب وغير الحفاظ باعتماد المصاحف.

^{xviii} مجلة المغرب التي تصدر باللغة العربية لمؤسسها ومديرها هو الأستاذ محمد ميسا.

^{xix} لم تكن فكرة المطالبة مطروحة بعد في هذه المحطة التاريخية من نضال النخب المغربية والشعب المغربي.

^{xx} رحل الوطني الكبير سي بوبكر القادري إلى الرباط وقدم هذا المشروع للوطني الكبير محمد الزيدي، ورحل الحاج أحمد معنيو إلى فاس وقدم نسخة مشروع الوثيقة للزعيم الراحل علال الفاسي الممثل وقتئذ لتيار القرويين وعلماء القرويين والشعراء والأدباء وللنخبة الفاسية الوطنية، وقدم نسخة ثانية لمحمد بن الحسن الوزاني لأنه كان يمثل تيارا حدثيا بسبب دراسته في فرنسا للعلوم السياسية للصحافة حيث سيصدر فيما بعد مجلة ذات صدى كبير رائد، سماها مجلة "عمل الشعب".

^{xxi} انعقد الاجتماع الأول بفاس، الثاني بسلا في منزل لعائلة وطنية هي عائلة "الأحرش". ويدعو المحاضر إلى ضرورة إحصاء أسماء هذه العائلات المخلصة قبل أن يغشاها الإهمال والنسيان وذلك عرفانا وامتنانا لأدوارها الكبيرة في تاريخ الحركة الوطنية.

^{xxii} ما أورده الأستاذ المحاضر من مقتطفات ملامح واستشهادات كانت على سبيل المثال لا الحصر.

^{xxiii} حسب المحاضر فإن والده المرحوم الحاج معنيو أشار في كتاباته إلى كيف أن هؤلاء الصناع التقليديين العمال والفلاحين كانوا يخفون تحت جلابيهم العصي والشواكير احترازا دفاعيا وتحسبا من أي رد فعل عدواني من طرف الاستعمار وأذنا به.

^{xxiv} بلغ هذا الانقسام حدا جنونيا وكان له آثار اجتماعية مدمرة بسبب الغلوئية السياسية والتطرف في الانتماء الحزبي؛ دليل هذا أنه في ظل هذا التناوب بين الحزبين، لم يعد في إمكانية أي واحد من حزب الشورى أن يطلب مثلا للزواج فتاة من حزب الاستقلال.

^{xxv} لاحظ الأستاذ المحاضر أن الانشقاق سيغدو منذ أن تكرر في صلب الحركة الوطنية المغربية مرضا مزمنًا ووباء متفشيا لم يسلم منه حزب من الأحزاب المغربية إلى الآن.